أثر المنهج القرآني في الحديث عن النصرانية عند علماء المسلمين

معالم منهج الفخر الرازي في دراسة النصرانية أنموذجا

The Impact of the Qur'anic Approach on the Discussion of Christianity among Muslim Scholars

Hallmarks of the al-Fakhr al-Razi's Approach to the Study of Christianity

Impak Pendekatan al- Qur'an pada Agama Kristian di Kalangan Para Ulama Islam

Mercu Tanda Pendekatan al-Fakhr al-Razi's Kepada Kajian Agama Kristian

سيكو مارافا توري*، وعصام التجاني محمد إبراهيم**

* عميد البحث العلمي والأستاذ المشارك في قسم أصول الدين والدعوة بكلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية بماليزيا.

* أستاذ مساعد بقسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وعضو المعهد العالمي لبحوث الحلال INHART.

الملخّص

يدرك المتتبع حقيقة حديث القرآن عن الأديان الأخرى بجانب بيانه الشافي للإسلام نفسه بين دفتيه. ولا ريب أن لهذه الظاهرة ثمراتها ومستلزماتها. أهمها ضرورة خوض المفسِّر وكثير من علماء المسلمين في الحديث عن الأديان، ومحاولة تأسي كثير من علماء المسلمين المختصين في علم الكلام والأديان بالمنهج القرآني لدى دراستهم للأديان؛ رغم إمكانية دراسة الأديان بمناهج أخرى غير المنهج القرآني، لأنّ المنهج يختلف باختلاف الهدف والغاية من الدراسة، ومنها النقاش العلمي حول أسبقية علماء المسلمين في دراسة الأديان: أيرجع ذلك إليهم أم إلى الغرب في العصر الحديث؟! وتبع ذلك إشكالية الموضوعية في دراسة الأديان. تسعى هذه الورقة إلى دراسة معالم منهج الإمام الرازي في دراسة النصرانية، ومدى تأثره في ذلك بالقرآن الكريم، وهل هو عين المناهج العلمية المعاصرة في دعوى دراسات الأديان المقارنة. وسيتبع الباحثان المنهج التحليلي في دراسة المنهج القرآني أولا بعد تتبع الآيات المعنية في ذلك، وفي استخراج وإبراز معالم منهج الرازي في دراسته للنصرانية. ومن أهم نتائج البحث أن ضرورة تفسير القرآن الكريم أدى إلى الخوض في دراسة دين آخر.

الكلمات المفتاحيّة: منهج القرآن الكريم، التفسير الموضوعي، الخطاب القرآني، دراسات قرآنية، النصرانية، الفخر الرازي.

Abstract

The Qur'an contains essential and significant accounts of other religions, providing enough room for Muslim scholars of Qur'anic interpretation. In these endeavours, Muslim scholars have adopted the approach of the Qur'an despite the availability of other methods. This is because methods differ according to the goals behind the study. Question has been raised as to who were first to engage in the study of other religions: Muslims or the western scholars in the modern age? There is also the question of objectivity in the study of religions. This paper examines hallmarks in the approach of Imām al-Rāzī toward the study of Christianity, and the extent it was influenced by the Qur'an, and whether it reflects contemporary scientific methods in the comparative study of religions. The researchers adopt the analytical method in the study of the Qur'anic approach after which it then extracts and highlights the hallmarks of Razi's approach to the study of Christianity. As the paper concludes, there is a need to interpret the Qur'an's description of other religions.

Keywords: Qur'anic Methodology, Subjective Interpretation, Qur'anic Discourse, Qur'anic Studies, Christianity, Fakhr al-Rāzī.

Abstrak

Al-Quran mengandungi akuan yang ketara mengenai agama-agama lain yang memberikan ruang yang secukupnya untuk ulama penafsir al-Quran. Dalam usaha ini, ulama Islam telah mengamalkan pendekatan al-Quran walaupun terdapat kaedah-kaedah lain. Ini kerana kaedah-kaedah harus bersesuaian dengan matlamat kajian. Soalan telah dibangkitkan mengenai siapa yang pertama dalam penglibatan kajian agama lain: orang Islam atau sarjana barat zaman moden? Terdapat juga persoalanan objektiviti dalam kajian agama. Kajian ini mengkaji mercu tanda pendekatan Imām al-Rāzī terhadap kajian agama Kristian, dan sejauh mana ia dipengaruhi oleh Al-Quran, dan sama ada ia mencerminkan kaedah saintifik kontemporari dalam kajian perbandingan agama. Para penyelidik menggunakan kaedah analitikal dalam kajian pendekatan al-Quran dan selepas itu ia kemudian mengekstrak dan mengetengahkan mercu tanda pendekatan Razi terhadap pengajian agama Kristian. Sepertimana kajian ini menyimpulkan, terdapat keperluan untuk menafsir penerangan al-Quran tentang agama-agama lain.

Kata Kunci: Metodologi al-Qur'an, Tafsiran Subjektif, Wacana al-Qur'an, Pengajian al-Qur'an, Agama Kristian, Fakhr al-Rāzī.

المحور التمهيدي: خطة البحث، ومفهوم المنهج:

المطلب الأول: خطة البحث

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، اللهم رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من لدنك علما؛

ففي ظل النداء إلى التكامل المعرفي وإلى التخصصات البينية، وظل الاهتمام بالأديان والأخلاق، والنداء إلى ضرورة الإنصاف والموضوعية في الأديان والنظر في المتفق عليه؛ فإن هذه الدراسة تأتي لمحاولة الجمع بين التفسير وبين علم الأديان. وذلك انطلاقا

من حقيقة تطرق القرآن الكريم إلى جملة من عقائد النصارى، وانطلاقا من توسيع المفسرين في محاولة بيان مراد الله لما ذكر في القرآن.

لمّا يذكر الإمام الرازي عند معظم الأكاديميين والباحثين والطلاب، فأول ما يخطر على البال في الوهلة الأولى هو أنه "متكلم" أو "فيلسوف"، وأحيانا يذكر في أصول الفقه، والتفسير، وعلم النجوم والفلك، وي ذلك بخس لحق هذا العالم الكبير. بل إنّ الجوانب التي عرف بها لم تحظ بالدراسة اللازمة، فضلا عما لم يعرف بها. ولو تتبع متتبع ما كتب من رسائل وكتب حول الإمام، لعدّ بضعة منها وبصعوبة. وجدير بالذكر أن ثمة مخطوطات كثيرة للإمام تحتاج إلى إخراج، كما أن كتبه الأخرى تحتاج إلى تحقيق وتعليق وتبسيط بما يتلاءم مع العصر.

هذا، وإن عقلية الإمام الرازي سمحت له الخوض في دراسة الملل والنحل، الشيء الذي يجهله الكثيرون، فقد كان يقوم بمناظرات واسعة مع أعيان العلماء والمتكلمين والفلاسفة في مختلف البقاع التي حل بها في ترحاله. ولم يختصر مناظراته على الفرق الإسلامية فقط كما يظن البعض، أو على ديانة بعينها، بل اتسعت لتشمل فرقا مختلفة، ومذاهب وأديانا متعددة، فهو قد خبر آراء الفرق، ووقف على مقولات طوائف المسلمين والمشركين حتى ألف في ذلك رسالة سماها "**اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**". وقد التقى في أسفاره المتعاقبة بالعديد من المنتمين إلى الفرق الإسلامية، والعديد من المنتمين إلى الديانات القديمة، وخاصة ديانات فارس والهند، والعديد من المنتمين إلى اليهودية والمسيحية. فكل هذه المذاهب والأديان كان لها وجود بتفاوت في قوته وحجمه في حواضر خراسان وما وراء النهر[1].

[1] بتصرف من: الرازي، محمد فخر الدين، **مناظرة في الرد على النصارى**، تحقيق عبد المجيد النجار (بيروت: دار العرب الإسلامي، 1986م)، ص 6-8.

ومختصر القول هو أن عدم الاهتمام بفكر الإمام الرازي وآراه بخس بحق الفكر الإسلامي، فهو عالم شهير في تاريخ الفكر الإسلامي، جوانبه العلمية عديدة، وإنتاجه في التأليف غزير، وأثره في جيله والأجيال التي جاءت بعده أثر عميق فعال. ولقد مرت قرون كانت فيها مؤلفاته من المصادر الأولى التي يرجع إليها العلماء والطلبة على حد سواء، وأصبحت كلمة "الإمام" إذا أطلقت في كتب علم الكلام الأشعرية وكتب أصول الفقه الشافعية، يراد بها الإمام الرازي ليس غير. وأعطي لقب "مجدد المائة السادسة للهجرة". فإن من حق رجل هذا شأنه أن يحظى من الباحثين المحدثين بالعناية التي تتناسب ومنزلته، وأن تدرس آراؤه بتوسع وشمول[2]. يضاف إلى هذا أن ثمة طائفتين حيال ورود الحقائق التاريخية حول النصرانية في القرآن الكريم، والحديث عن عقائدها:

الطائفة الأولى: تمثلها المدرسة الاستشراقية، وذلك بالطعن في بعض أو الكثير مما ورد في القرآن الكريم من حقائق حول الديانة النصرانية من جهة، أو رميها بعدم الموضوعية من جهة أخرى.

الطائفة الثانية: وتمثلها جملة من المسلمين الذين يعممون بعض ما جاء في القرآن الكريم دون اعتبار حقيقة الديانة النصرانية القائمة، ودون الفهم الشمولي لما ورد في القرآن الكريم، وبغض النظر عن التطور التاريخي للديانة، وهذه أمور فهمها وإدراكها مهمة في الحصول على الصورة الكاملة لحقيقة ما ذكره القرآن الكريم.

ستكون هذه الدراسة بمثابة تحليل لمعالم منهج القرآن وتنزيله على المنهج الذي اتبعه الإمام الرازي ومدى تأثره به.

---

[2] بتصرف من: الزركان، محمد صالح، **فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية** (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1963م)، ص3.

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية البحث في طبيعة التباين والاختلاف في الديانات، وتحدي التجرد والإنصاف والموضوعية، والابتعاد عن الحكم في ظل عقيدة دينية قائمة، يدين بها باحث ما، وهي راسخة لديه، وحَكم عليها قبل أن يقوم بالبحث، ولعل هذا الحكم جزء من مطلب ديني. فكيف تعامل القرآن الكريم مع النصرانية وما السمات العامة لمن تأثر بالمعالم القرآنية في دراسة الأديان، وما مكانة ذلك من علم مقارنة الأديان والإنصاف والابتعاد عن الحكم، كما يدعى إليه مؤخرا في علم دراسات الأديان؟

حدود البحث:

يجدر بالذكر أن البحث سيكون في الإطارين الآيتين:

1- القرآن الكريم: بتتبعه واستخراج المصطلحات.

2- كتابات الإمام الرازي في تجلية المقصود من هذه المصطلحات، نظرا لكونه مفسر وعالم كلام، له مؤلفات في الحقلين.

أسئلة البحث:

تتمثل أسئلة البحث في الآتي:

1- ما معالم المنهج القرآني في الحديث عن النصرانية؟

2- وما معالم منهج الفخر الرازي في الحديث عن النصرانية؟

أهداف البحث:

يكمن أهداف البحث في الآتي:

1- إبراز معالم المنهج القرآني في الحديث عن النصرانية وربطه بمنهج الإمام الرازي في دراسة النصرانية.

2- الكشف عن معالم منهج الفخر الرازي في الحديث عن النصرانية.

منهج البحث:

نظرا بأن البحث يدور حول معالم منهج الإمام الرازي في دراسة النصرانية، كان لابد من سلوك **المنهج الاستقرائي** في تتبع جزئيات الموضوع من القرآن الكريم أولا واستحضار معالم منهجه. ويتطلب البحث التعرض **للمنهج التحليلي**، في استخراج منهج الإمام الرازي في دراسة الأديان. علاوة على أنه لا غنى للبحث من المنهج الوصفي؛ وذلك في بيان قضايا البحث.

الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة، فلعله يمكننا أن نعد هذه الورقة مساهمة وجديدة من نوعها، وذلك أن الدراسات السابقة لهذا الموضوع لم تعالج ما البحث بصدده، وإنما انصب معظمها على قضايا أخرى. من هذه الدراسات السابقة مقال منشور في مجلة الإسلام في آسيا بعنوان: **منهج الخطاب القرآني في الحديث عن النصرانية وآثاره**[3]. ومن الدراسات السابقة رسالة بحث بعنوان: النصرانية في القرآن الكريم، لمؤلفه محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود. وكتاب **Jesus in the Qur'an (عيسى في القرآن)** لمؤلفه Geoffrey Parrinder (جيوفري بارينذر)، وهو باللغة الإنكليزية. وكتاب: **The Moslem Christ (المسيح المسلم)**، كتاب قديم، فقد أُلف في 1912، وباللغة

[3] للتوسع انظر: رحمة، وتوري، **منهج الخطاب القرآني في الحديث عن النصرانية وآثاره**، مجلة إسلامية المعرفة، العدد الخاص 4 ديسمبر 2011م.

الإنكليزية، ألفه المستشرق Samuel Zwemer (صموئيل زويمر)، وكتاب النصرانية بين نبأ القرآن المجيد وخبر العهد الجديد تاريخا وعقيدة، لمؤلفه جمال سعد محمود، وكتاب **Jesus a prophet of Islam, (عيس نبي الإسلام)**، لمؤلف محمد عطاء الرحيم. ومن الدراسات السابقة **النصرانية في الخطاب القرآني**[4]، و**صفات النصارى في الخطاب القرآني**[5]، و**عقيدة ألوهية عيسى**[6]، ومنها: **منهج الخطاب القرآني في الحديث عن النصرانية وآثاره**[7]. فهذه الكتب والمقالات وإن كانت تتناول النصرانية وتتكلم عن عيسى عليه السلام كما جاء في القرآن؛ إلا أنها عنيت بقضايا العقيدة بيانا وردا، ولم تهتم بقضايا أخرى لها صلة بالنصرانية وتحدث عنها القرآن، ومن هذه القضايا استخراج معالم منهج الإمام الرازي، وهذا ما سيركز عليه هذا البحث.

أما ما يتعلق بالدراسات عن الإمام الرازي فلم يقف الباحث على دراسة دقيقة عنه في بيان جهوده في الملل والنحل. علما على وجود عدد غير قليل من الدراسات عنه؛ لكن من جوانب أخرى. ومن أهم هذه الدراسات ما يأتي:

---

[4] للتوسع انظر: سيكو مارافا توري، **النصرانية في الخطاب القرآني**، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم أصول الدين ومقارنة الأديان بكلية معارف الوحي والتراث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 2007م.

[5] للتوسع انظر: توري، والعرفي، **صفات النصارى في الخطاب القرآني: دراسة موضوعية تحليلية**، مجلة جامعة المدينة العالمية بماليزيا (مجمع)، العدد 9، 2014م.

[6] للتوسع انظر: توري، **عقيدة أهل الكتاب "النصارى" في ألوهية عيسى في الخطاب القرآني**، مجلة بحوث إسلامية واجتماعية متقدمة، العدد الأول، أكتوبر 2011م.

[7] للتوسع انظر: رحمة، وتوري، **منهج الخطاب القرآني في الحديث عن النصرانية وآثاره**، مجلة إسلامية المعرفة، العدد الخاص 4 ديسمبر 2011م.

1. كتاب **فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية**، لمؤلفه محمد صالح الزركان، وهو رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة القاهرة، وتم طبعها[8]. درس الكتاب الجوانب العلمية للإمام، فاهتم بالجانب الكلامي الفلسفي.

2. كتاب **فخر الدين الرازي**، لمؤلفه الدكتور فتح الله خليف[9]، – ولقد كان للمؤلف اهتمام بإمام الرازي والعكوف على دراسة أفكاره وشخصيته، فقد كتب رسالته الماجستير في جامعة الإسكندرية سنة 1959م، بعنوان "**موقف الرازي من الكرامية**" درس فيه آراءهم ومنهج الإمام في الرد عليهم. كما كتب رسالته الدكتوراه في جامعة كيمبرج عام 1964م بعنوان "**مناظرات الرازي مع علماء بلاد ما وراء النهر**".

3. **جهود فخر الدين الرازي في النحو والصرف**، لصاحبه محمد عبد القادر هنادي[10]، رسالة دكتورة مقدمة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة 1985م.

4. **المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي**، لمؤلفه محمد العربي[11]. تناول هذا الكتاب دراسة الدور الذي لعبه الإمام الفخر الرازي في الفكر العربي والإسلامي، وذلك عبر تحليل أبرز مؤلفاته و منطلقاته الفكرية.

5– من آخر ما سيذكر من دراسات حول فكر وآراء وجهود الرازي هنا هو كتاب **موسوعة مصطلحات الإمام الرازي**، لمؤلفه سميح دغيم[12]. وهو عبارة عن معجم إن

---

[8] الزركان، محمد صالح، **فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية** (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1963م).

[9] خليف، فتح الله، **فخر الدين الرازي** (القاهرة: دار المعارف بمصر، د.ط، 1969م).

[10] هنادي، محمد عبد القادر، **جهود الإمام الرازي في النحو والصرف** (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، رسالة دكتوراه . رقم التسلسلي 931).

[11] العربي، محمد، **المنطلقات الفكرية عند الإمام الرازي** (بيروت: دار الفكر اللبناني، ط1، 1992م).

[12] دغيم، سميح، **موسوعة مصطلحات الرازي** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2001م).

صح التعبير تناول مصطلحات الإمام الرازي بالبيان والدراسة مرتب حسب الترتيب الألفائي. وتطرق المؤلف إلى الحديث عن سيرة الإمام الرازي وتحليل بعض كتبه ومنهجه فيها، قبل البدء ببيان المفردات أو المصطلحات. كما درس تطور المصطلح مع الإمام الرازي.

يلاحظ أن الباحثين من قبل لم يتطرقوا لجانب الملل والنحل عند الفخر الرازي، وإنما تعرضوا لجوانب أخرى من جهود الإمام، على سبيل المثال نذكر الرسائل الآتية:

1. **الرازي مفسرا**، بحث دكتوراه لمحسن عبد الحميد.
2. **الرازي بلاغيا**، وهي رسالة جامعية أعدت وقدمت في بغداد.
3. **الله والكون في فلسفة فخر الدين الرازي**، رسالة دكتوراه لمختار أحمد عبد الصالحين.
4. **جهود الفخر الرازي في النحو والصرف**، رسالة دكتوراه لمحمد عبد القادر هنادي.

فيلاحظ أنه لا كتاب تناول الفخر الرازي ببيان جهوده في دراسات الأديان، النصرانية خاصة، فعسى أن يأتي هذا البحث بالمرتقب، ولعلّه أن يكون فاتحة طريق للاهتمام بفكر الإمام في مجال الملل والنحل.

محتوى البحث:

سيشتمل البحث على المباحث الآتية:

1- المحور التمهيدي: خطة البحث، ومفهوم المنهج.

2- المحور الأول: سمات المنهج القرآني في الحديث عن النصرانية وأثره على علماء الأديان عموما الرازي خاصة.

3- المحور الثاني: معالم منهج الفخر الرازي في الحديث عن النصرانية.

المطلب الثاني: مفهوم كلمة "المنهج":

كان للمعنى اللغوي لكلمة منهج تأثير في معناه واستخداماته في الاصطلاح، حيث يستخدم المنهج في الاصطلاح ويراد به الطريقة التي سار عليها باحث معين في بحثه. ولقد تباينت تعريفات العلماء لمصطلح – المنهج – لكن في الحقيقة، يمكن القول أن الاختلاف لفظي ليس إلا، وسيورد الباحث هنا عدة تعريفات مختلفة في التعبير لكن متفقة غالبا في المعنى، ومن هذه التعريفات ما يلي:

1. تعريف عبد المنعم الخفي في المعجم الفلسفي، حيث عرف المنهج بقوله: " مجموع الإجراءات التي ينبغي اتخاذها بترتيب معين لبلوغ هدف معين"[13].
2. وعرفته مجمع اللغة العربية بالقاهرة كالتالي: "يعتبر وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة"[14].
3. وعرفه عبد الرحمن بدوي بقوله: "فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون به جاهلين، أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين"[15]. وهذا ما يميل إليه

---

[13] الحفني، عبد المنعم، **المعجم الفلسفي** (بيروت: دار ابن زيدون، ط1، 1992م)، ص286.

[14]. مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي** (القاهرة: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، د.ط، 1399هـ/ 1979م)، ص195.

[15] بدوي، عبد الرحمن، **مناهج البحث العلمي** (الكويت: وكالة المطبوعات بالكويت، ط3، 1977م)، ص3.

الباحث إن كان لا بد من اختيار تعريف وترجيحه، وذلك لأن هذا التعريف قد يكون جامعا ومانعا وأكثر دقة من الآخرين، وما قد يرد عليه من إشكالات قد يكون أقل من غيره من التعريفات، وهو تعريف معاصر، يضع في الحسبان ما قد يطرأ في الأفهام حين يقول أحدنا "منهج"، علما أن ما يقرب من هذا التعريف هو اختيار مجمع اللغة العربية بالقاهرة[16].

وعلى هذا فمنهج الرازي في دراسة الأديان، يعني طريقته والأسلوب العلمي، والسبيل الفني الذي تبعه وهو يدرس النصرانية ويبينها، ومن الجدير بالذكر أن لكل علم منهجه الخاص، هو موضع اتفاق بين أهل فن معين، يسير وفق قواعده وضوابطه.

وعلم مقارنة الأديان أحد العلوم التي امتازت بمنهجية معينة، فقد سلك العلماء في دراسة الأديان مناهج وطرقا وفنونا مختلفة، كُتب فيها تحت عنوان "مناهج علماء المسلمين في دراسة الأديان"، ليفصل الكتاب والباحثون القول فيها أحسن تفصيل، كما عني عالم بعينه للوقوف على منهجه، فدُرس مثلا منهج ابن حزم ومنهج البيروني، ومنهج القاضي عبد الجبار، ومنهج ابن تيمية، وغير ذلك، ومن المعاصرين منهج أبو زهرة، ومنهج أحمد ديدات وغير ذلك.

والباحث يريد أن يقف في الأوراق القادمة على **منهج الرازي في دراسته للنصرانية**، فللإمام الرازي مناهج لا تقل أهمية عن غيرها من مناهج علماء المسلمين في دراسة الأديان.

---

[16] المصدر السابق، ص195.

المحور الأول: منهج القرآن الكريم في الحديث عن النصرانية و آثاره[17]

نزل القرآن الكريم لغاية واضحة مكشوفة، وهو أن يكون الدين كله لله، فكانت التوحيد والسير تحت ظلاله الوظيفة الأساسية للقرآن، يدلنا على هذا الآيات التالية: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ**﴾[المائدة: 15]، ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[المائدة: 19]، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾[النساء: 170]. فالقرآن كلام الله، جاء ليبن الحق من الباطل، يبين الحق بإثبات التوحيد، فطرة الله التي فطر الناس عليها، ومن ثم السير على هديه، ويبين الباطل بنقض الشرك وتوابعه، هذه هي وظيفة القرآن، وكان منهجه في ذلك الوصف البياني من جانب، والاستدلال من جانب، والأسلوب القصصي من ناحية، والمجادلة أحيانا، متبعا في كل خطوة من هذه الخطوات الموضوعية وقول الحق. وقد رسم القرآن منهجا واضحا حين تحدث عن الأديان الأخرى عموما، وعن النصرانية خصوصا. ومن أهم مناهج القرآن في ذلك التالي:

أولا: المنهج التاريخي والوصفي[18]

---

[17] لعله يجدر بالذكر أن هذا البحث تطبيق عملي لبحث نشر من قبل في مجلة الإسلام في آسيا بشكل أكثر دقة وتفصيلا، والغرض هنا تنزيل أثر القرآن باتباع سماته العامة على عالم من علماء المسلمين، الرازي أنموذجا. للتوسع انظر: رحمة، وتوري، **منهج الخطاب القرآني في الحديث عن النصرانية وآثاره**، مجلة إسلامية المعرفة، العدد الخاص 4 ديسمبر 2011م.

[18] يذكر العلماء أربعة مناهج لدراسة الأديان في الفكر الإسلامي، هي: المنهج التاريخي الوصفي، والمنهج التحليلي المقارن، والمنهج النقدي الموضوعي، ومنهج الجدل والمناظرة. ويذكرون أربعة مناهج كذلك لدراسة الأديان في الفكر

ويقصد بالمنهج التاريخي الوصفي عند علماء دراسة الأديان في الفكر الإسلامي، دراسة الأديان ووصفه كما هو عند المنتسبين إليه دون الرد أو النقد أو القدح في ذلك الدين. وكذا يتضمن ذكر تاريخ الدين ودراسته من الناحية التاريخية كأحداث، وذكر خصائص الدين كما هو[19]. ويجد المتتبع بيانا واضحا في القرآن الكريم عن عقيدة ألوهية عيسى، وعقيدة ألوهية مريم، وعقيدة الصلب والفداء، وعقيدة التثليث، أضف إلى ذلك أن القرآن فصل القول حول عيسى عليه السلام من وجوه، بل وتحدث عن صفات النصارى وعن أحداث تاريخية ارتبط ذكره بميلاد عيسى وبرسالته؛ **فالقرآن أعطى معلومات وبيانات عن النصرانية تاريخا ووصفا**، فوجب إثبات كونه ملتزما بالمنهج التاريخي الوصفي.

ثانيا: المنهج الجدلي والنقدي.

الجدل في اللغة: جدل جدلا اشتدت خصومته، وجادله مجادلة وجدالا ناقشه وخاصمه[20]، فالجدل في اللغة يدور حول المخاصمة والمناظرة والمناقشة، وغالبا بطريق المحاورة والأخذ والرد، كما يمكن أن يتخذ أشكالا أخرى.

أما في الاصطلاح فهو يستخدم غالبا بأنه فن المناظرة والمعارضة، يقول النووي: "الجدل والجدال والمجادلة مقابلة الحجة بالحجة وتكون بحق وباطل، وأصله الخصومة الشديدة، ويُسمى جدلا لأن كل واحد منه يُحكم خصومته وحجته إحكاماً بليغاً على قدر

الغربي، هي: التاريخي الوصفي، الظاهراتي، المنهج الاجتماعي والانثربولوجي، والمنهج النفسي. للتوسع انظر: الشرقاوي، **بحوث في مقارنة الأديان**، ص18-19.

[19] الشرقاوي، **بحوث في مقارنة الأديان**، ص17.

[20] ابن منظور، **لسان العرب**، ج11، ص105، مادة جدل.

طاقته"[21].

يدرك المطلع أنّ القرآن الكريم أمر باستخدام المنهج الجدلي في فحص الدعوى لمعرفة مدى صحته من عدمه، والمنهج الجدلي طريقة للتذكير بما قد يغيب عن الذهن أحيانا، وبه قد يرجع الفرد إلى الصواب، يرى الرازي أن المجادلة ليست طريقة في الدعوة إنما هو لشيء آخر قد يكون من باب الإفحام وإلزام الخصم، فمتى افتقر للدليل عاد إلى قولك واعتقد دليلك، يقول: "أما الجدل فليس من باب الدعوة بل المقصود منه غرض آخر مغاير للدعوة وهو الإلزام والإفحام فلهذا السبب لم يقل ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن، بل قطع الجدل عن باب الدعوة تنبيهاً على أنه لا يحصل الدعوة وإنما الغرض منه شيء آخر"[22].

وقد جادل القرآن النصارى في معتقداتهم وفي أدلتها، لينقد بذلك معتقدهم ويردهم إلى ما يراه الصواب، فقد ذكر لسان حال القرآن نقدا لعقيدة البنوة أن الإله الجدير بالعبادة هو القادر على كل شيء والذي لا ينبغي أن يكون عاجزا أو أن يشبه أحد خلقه، فهو تعالى غير مفتقر لولد ولا صاحبة. وجادلهم في عقيدة ألوهية عيسى بأن عيسى الذي تعتقدونه إلها لا يملك الضر ولا النفع لنفسه فكيف ينفعكم أو يدفع الضر عنكم، بل ما دليلكم على عبادته واتخاذه إلها؟ وهو لم يدع إلا إلى التوحيد الخالص!

ثالثا: المنهج الاستدلالي

حسن استخدام المنهج الجدلي والنقدي يتطلب سلوك واتباع المنهج الاستدلالي، إذ إن حسن الجدل والنقد قائم على عرض الأدلة، ومن هنا نجد أن القرآن سلك المنهج

---

[21] النووي، محي الدين زكريا بن شرف، **تهذيب الأسماء واللغات** (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ج3، ص48.

[22] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج20، ص112.

الاستدلالي، والأسلوب المقنع الأخاذ، وذلك بجمعه بين منطق العقل ومنطق العاطفة، والجمع بين الجزالة والبساطة.

رابعا: الأسلوب القصصي وضرب الأمثلة

ومن أهم المناهج التي سلكها القرآن في الحديث عن النصرانية، المنهج القصصي وضرب الأمثلة. ويقصد الباحث بالمنهج القصصي أو الأسلوب القصصي إخبار القرآن عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة؛ فقد اتخذ القرآن القصص سبيلا للإقناع و التأثير[23]. نجد هذا جليا في مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾[النمل: 76]. فمن منهج القرآن في الحديث عن النصرانية إعطاء وبيانات مهمة عن طريق السرد القصصي. وإن الأمثلة على ذلك كثيرة جدا، لا تحصى، فقد تحدث القرآن عن الكثير من قضايا النصرانية في سورة آل عمران، و قد أفرد سورة كاملة باسم سورة مريم، كما أن هناك سورة ارتبط بحادثة مهمة في النصرانية، وهي قصة المائدة، ومعظم المعلومات في هذه السور ترد بأسلوب قصصي.

أما المقصود **بضرب الأمثلة** فيعرفه ابن قيم بقوله: "تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الأخر واعتبار أحدهما بالآخر"[24]. ومن الأمثلة على ذلك ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾[آل عمران: 59]. فحاصل الكلام أنه إذا جاز أن يخلق الله تعالى آدم

---

[23] الألمعي، **مناهج الجدل في القرآن الكريم**، ص 73.

[24] ابن قيم، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الجوزية، **الأمثال في القرآن الكريم** ، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، 1981م)، ص9.

من التراب فلم لا يجوز أن يخلق عيسى من دم مريم بل هذا أقرب إلى العقل فإن تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الأم أقرب من تولده من التراب اليابس[25].

خامسا: الموضوعية:

إذا أرجعنا كلمة الموضوعية إلى أصلها اللغوي سندرك أنها من وضع أي الحط، إذ ورد في مختار الصحاح: "و ض ع: المَوْضِعُ المكان والمصدر أيضا و وَضَعَ الشيء من يده يضعه وَضْعا و مَوْضِعاً ومَوْضُوعا أيضا"[26]، وعلى هذا يمكن القول بأنه حط الشيء في مكانه المناسب يسمى موضوعية. فلما أضع الكلام المناسب في مكانه المناسب فأنا موضوعي وإلا فلا. هذا من معانيه وإن كان له معاني أخرى كثيرة بل ومتضادة. وهو مصطلح يستخدم كذلك فيما يسمى بالبحث العلمي، ويقصد به حصر أطراف الموضوع، هذا أولا ومن الموضوعية ثانيا: التركيز على موضوع البحث, وثالثا: بيان الحقائق والنتائج التي يؤدي إليها البحث, سواء خالف وجهة نظر الباحث أو وافق[27].

فيمكن اعتبار كل ما سبق كجزئيات متممة لكلمة الموضوعية، إضافة لتعريف مجمع اللغة العربية، حيث تم تعريف الموضوعية بأنها وصف لما هو موضوعي، وهو بوجه خاص مسلك الذهن الذي يرى الأشياء على ما هي عليه، فلا يشوهها بنظرة ضيقة أو بتحيز خاص. ومن هنا وجب أن تكون الحقائق العلمية مستقلة عن قائليها، بعيدة عن التأثير بأهوائهم وميولهم ومصالحهم فتتحقق في البحث العلمي الموضوعية والنزاهة[28]. وعلى هذا فلو تحدث القرآن عن النصرانية بما هم أنفسهم يدينون به يمكن إطلاق وصف الموضوعية

---

[25] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج8، ص66.
[26] الرازي، **مختار الصحاح**، ص470.
[27] **مناهج البحث**، من منشورات جامعة المدينة العالمية، تحت رقم 1033، ص29.
[28] مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، ص197.

عليه، والعكس صحيح، ولو انتقد القرآن ما يدين به النصارى بناء على أدلة وحجج عقلية سليمة يمكن وصفه كذلك بالموضوعية من حيث البحث عن الحقيقة، والعكس صحيح.

يبين أنيس مالك طه أن مفهوم الموضوعية في الغرب يعني أن لا يتأثر الباحث بدينه أو فكرته وهو يتحدث عن دين آخر. ويعقب بأن هذا الأمر غير ممكن أو مرفوض، بينما الموضوعية في الفكر الإسلامي مرتبط بالموضوع وإعطائه حقه، وهو كذلك منبثق من العدالة، والناس مأمورون بها في جميع نواحي حياتهم. وأكد أنيس مالك طه في مقالته عن الموضوعية أن الفاروقي يرى أن الحكم وإصدار الرأي ليس شيئا مرغوبا فقط، بل أمر لا بد منه. ذكر هذا ليبين أنه لا مناص من بيان الحكم في دراسة الأديان؛ خلافا لدعوى علماء الغرب في ذلك[29].

ويرى محمد سعيد رمضان البوطي أن الإسلام هو الذي أمر بالموضوعية، فالدين هو العامل الأول لإخضاع الفكر الإسلامي لمنهج دقيق في البحث، نجد ذلك واضحا في مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[الإسراء: 36]. وهكذا وجد الفكر الإسلامي نفسه أمام مهمة دينية، هي ضرورة البحث عن الحقيقة، سواء كانت من قبيل النقول أو الدعاوى، وبدهي أن القيام بهذه المهمة يتوقف على وضع منهج للبحث. ومعلوم أنه بقدر ما تكون الغاية صافية سليمة لا حكم فيها إلا للعقل وحده، يكون المنهج إليها صافيا سليما أيضا، لا يخطه إلا العقل وحده. فمنهج الإسلام ينحصر في "إن كنت ناقلا

[29] انظر:

Thoha, Anis Malik, "**Objectivity and the Scientific Study of Religion**" in Journal of Intellectual Discourse, V.17, No1, 2009, pp.83-93.

فالصحة أو مدعيا فالدليل"[30].

وبما أن اهتمام أغلب علماء المسلمين بدراسة النصرانية أتى نتيجة تأثرهم بالقرآن الكريم، وأسلوبه ومنهجه في الحديث عن النصرانية؛ يجدر بالباحث التطرق -سريعا- إلى أهم آثار المنهج القرآني في الحديث عن النصرانية. ويمكن عد آثار المنهج القرآني في حديثه عن النصرانية كالتالي:

1. **بناء تصور تام عن التوحيد،** ودراسته دراسة تفصيلية من كل جوانبه، مؤكدا أنه الدين الوحيد الذي يقبله العقل، والذي لم يأت نبي إلا به؛ فأكد أنه دعوى جميع الأنبياء، وإن الإنسان في ضنك من حياته، إن تصور أن هذا العالم وجد جزافا وعبثا، أو اعتقد بوجود آلهة أخرى إضافة إلى الخالق الأول للكون، من شمس وقمر أو حتى من الناس أنفسهم أو الملائكة.
2. **إعطاء تصور تام عن النصرانية:** يرى الكثير من الباحثين المسلم منهم والنصارانى، بل وأصحاب الديانات الأخرى، أن القرآن لم يتحدث عن النصرانية، وجل ما فيه هو أنه يعيد نظرية الإسلام نفسه، أدرك الباحث هذا مثلا من خلال بعض الحوارات التي جرت بين الباحث وبين من تحدث معهم عن بحثه هذا، لكن الحقيقة تبين أن هذا الرأي لا يكاد يكون صائبا، فقد وقفنا على أهم قضايا النصرانية وأهم معتقدهم من خلال تتبع آيات القرآن الكريم.
3. **إعطاء معلومات كافية لم ترد في الإنجيل نفسه:** وفي هذا يقول تعالى: ﴿**يَا**

[30] بتصرف من: البوطي، محمد سعيد رمضان، **كبرى اليقينيات الكونية** (دمشق: دار الفكر، ط8، 1997م)، ص33- 34.

أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[المائدة:15]. ويقول: ﴿**إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾[النمل: 76]. ومن هذا القبيل على سبيل المثال ما يرُد الشك بنبوة محمد، ومنه أيضا الكثير من معجزات عيسى، مثل الكلام في المهد، ومعجزة الخلق من الطين، وكذلك الإخبار بالغيوب، وكذلك الإخبار بقول من كان يؤمن بألوهية مريم عليها السلام، والقرآن في هذا يبقى مصرا على أنه من عند الله لا من عند بشر، يقول الرازي: "بيّن الله تعالى أولاً كونه معجزة من وجوه أحدها أن الأقاصيص المذكورة في القرآن موافقة لما كانت مذكورة في التوراة والإنجيل مع العلم بأنه عليه الصلاة والسلام كان أمياً وأنه لم يخالط أحداً من العلماء ولم يشتغل قط بالاستفادة والتعلم فإذن لا يكون ذلك إلا من قبل الله تعالى"[31].

4. **بيان موقفه من القضايا النصرانية:** وإن القرآن لم يكتف بإعلامنا وإعطائنا التصور الكافي لفهم النصرانية كما يدينون بها، بل أعقب ذلك ببيان رأيه – وهو كما يراه القرآن الرأي الحق، إذ هو حكم العقل والمنطق، وليس مجرد التأثر بالآباء– وببيان موقفه من القضايا النصرانية، فقال في مقام البنوة، لا ينبغي للخلق أن يتخذ ولدا، وأعلن في مقام التثليث أن الإله الحق واحد، لا ينبغي أن يكون ثلاثة وإلا لفسدت الأرض، و لأدى الإيمان بذلك إلى الدور المستحيل،

[31] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج24، ص185.

وإلى العجز في حق الخالق، وأعلن على الملأ أن من آمن بهذه الأمور فهو كافر، أي لم يصدق ما جاء به محمد، وبالتالي لا يترتب عليه ما يترتب على الآجر لمن آمن به، بل ولقد بين القرآن في مجال الأحداث التاريخية ما يراه حقا ورد على ما ليس بعلم أو كما أسماه القرآن بالظنون، ومن هذا الإيمان يصلب المسيح، فأنكر بناءً على علم الله أنه لم يصلب. فكان من آثار المنهج القرآني إصدار الحكم، فلا ينبغي أن يعد عيبا في البحث العلمي، خاصة إذا ما أدركنا أن إصدار الحكم مهم، وشيء مطلوب عقلا.

5. **تأثر علماء المسلمين بالمنهج القرآني**: وآخر أثر من آثار المنهج القرآن في الحديث عن النصرانية هو أن معظم من تحدث عن الأديان الأخرى في الإسلام تأثروا بالمنهج القرآني، إذ كان القرآن منطلقهم، فما عدم منهجهم بعد دراسة دين ما من أديان العالم من الموضوعية، والاستدلال العقلي، ومحاورة من آمن بفكرة ما، سواء كان ذلك على سبيل الصراحة والمباشرة أو التلويح والتعريض، ومن ثم لا بد من إصدار الحكم في حق أصحاب ذاك الدين، وكل خطوة من خطوات عملهم يمكن أن يعتبره الباحث بأنه تأثر مباشر أو غير مباشر من القرآن، ويمكن للقارئ فحص كتب علماء المسلمين ليرى مدى صحة مقولة الباحث من عدمه. ولا ينبغي أن يعد هذا عيبا في البحث العلمي، بل على العكس يجب بيان فضائله. ولعل من أجل هذا اتخذ معظم المسلمين من دراسة الأديان طريقا للدعوة؛ فكأن لسان الحال يقول دلني على دليل صحة دينك لأتبعك، فإن عجزت فأنا ديني قائم على كيت وكيت! بل كيف أنت تؤمن بكذا وكذا، والعقل يرى هذا وذاك، فإذا بان الأمر لم يبق لك إلا الدخول في

الإسلام للنجاح، أو الإصرار على دينكفتكون من الخاسرين.

المبحث الثاني: معالم منهج الإمام الرازي في الحديث عن النصرانية

وجد الباحث أنّ منهج الرازي وأسلوبه في دراسة النصرانية متنوع ومتعدد، سنقف عليها واحدا تلو الآخر على النحو التالي:

المطلب الأول: المنهج التاريخي الوصفي

ويقصد بالمنهج التاريخي الوصفي عند علماء دراسة الأديان في الفكر الإسلامي، دراسة الأديان ووصفه كما هو عند المنتسبين إليه دون الرد أو النقد والقدح في ذلك الدين. وكذا يتضمن ذكر تاريخ الدين ودراسته من الناحية التاريخية كأحداث، وذكر خصائص الدين كما هو[32].

قد سلك القرآن في تناوله للنصرانية المنهج التاريخي الوصفي بهذا المفهوم. فهو منهج إسلامي أصيل، يقصد الباحث بهذا أن لعلماء المسلمين قدم سبق في اتباع هذا المنهج، فهم الذين أسسوا وقعدوا أصول هذا المنهج على وتيرة إسلامية بحتة. فقد كتب علماء المسلمين في نشأة الديانة، وأسفارها، ومؤسسيها، وفرقها، ومقالاتها، ومن العلماء الذين يذكرون في هذا السياق النوبختي (202هـ) في الآراء والديانات، والمسعودي (346هـ)، و المسبحي (420هـ) درك البغية في وصف الأديان والعبادة، ويذكر هنا مؤلفات الملل والنحل للبغدادي، وابن حزم، والشهرستاني، وغيرهم كثير.

ولنضرب مثلا على ما قام به الشهرستاني (548هـ) كنموذج حي في بيان منهجه. يقول في مقدمة كتابه: "وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم دون أن أبين صحيحه من فاسده وأعين حقه من

---

[32] الشرقاوي، **بحوث في مقارنة الأديان**، ص17.

باطله وإن كان لا يخفى على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل"[33].

والمنهج التاريخي والوصفي بهذا المفهوم يختلف نوعا ما عن المنهج السائد اليوم في الغرب، والمعروف بالمنهج الظاهراتي (**Phenomenological**)، فيتفقان في طريقة العمل: دراسة خصائص الدين التي تسكن خلف تجلياته التاريخية، ويختلفان في أن المنهج الغربي قامت على مسلمات ومقدمات تنقض الإيمان الديني، لاعتقادهم وإيمانهم بوجهة نظرية خالصة عن الدين، انطلاقا من تسليمهم لنظرية التطور العضوي[34]، بينما المنهج الإسلامي قائم على فكرة استقلالية الدين، وجدارته بالإتباع.

اعتمد الرازي في الحديث عن النصرانية على المنهج التاريخي الوصفي، أو الحكاية، خاصة في كتابه: **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، وغلب هذا نوعا ما على كتابه التفسير **مفاتيح الغيب**، وذلك أن من طبيعة الرازي في كتاباته بيان رأي المخالف كما عند أصحابه، بل يعرض رأيهم في أحسن حال، حتى يكاد يعجز أصحاب الرأي أنفسهم على الشرح مثل شرح الرازي، وكان هذا مأخذا على الرازي، وقدح بعض العلماء فيه وفي كتبه، يقول ابن حجر في ذلك: "كان يعاب بإيراد الشبه الشديدة ويقصر في حلها حتى قال بعض المغاربة يورد الشبه نقدا ويحلها نسيئة"[35]. وذكر ابن حجر من مآخذ العلماء على الرازي أنه **يورد شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهاء**[36]. وما يهمنا هنا هو

---

[33] الشهرستاني، **الملل والنحل**، ص14.

[34] انظر: فتاح، **النصرانية: نشأتها التاريخية وأصول عقائدها**، ص20.

[35] ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، **لسان الميزان** (بيروت: مؤسسة الأعلمي، ط3، 1986م)، ج4، ص427.

[36] المصدر نفسه، الصفحة نفسها والتي تليها.

اتباعه منهج البيان والوصف حتى انتقد عليه، لأنه يبين ما عند الآخر مع الدليل، وهذا عين المنهج التاريخي الوصفي الذي سار عليه نخبة من العلماء منهم البيروني والشهرستاني.

ومن الأمثلة على طريقة الإمام هذا قوله: "اعلم أنه تعالى لما استقصى الكلام مع اليهود شرع هاهنا في الكلام مع النصارى، **فحكى عن فريق منهم أنهم قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وهذا هو قول اليعقوبية** لأنهم يقولون إن مريم ولدت إلهاً، ولعلّ معنى هذا المذهب أنهم يقولون إن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى"[37]. ويقول في كتابه **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين،** وهو يتحدث عن فرق النصارى: "اليعقوبية: وهم يقولون إن روح الباري اختلط ببدن عيسى عليه السلام اختلاط الماء باللبن"[38]. فالبيان والوصف المعطى هنا إنما جاء باستخدام المنهج الوصفي التاريخي أو البياني أو الحكاية.

وقد ذكر الباحث أن هذا المنهج واحد من مناهج القرآن في الحديث عن النصرانية، والرازي ليس مستثنى من اتباع هذه المنهجية، فهو وصف وبين الكثير من قضايا النصرانية، لكن ليس لذاتها، بل بما يساعد على بيان ما قد يحكم العقل بأنه الحق حتى يُتبع وينقاد إليه، إلا أنه من الجدير بالذكر أن الرازي له أسلوبه وطريقته والذي يختلف عن أسلوب القرآن وطريقته، وذلك من ناحيتين:

1- قد يفهمنا القرآن في سطر أو سطرين، أن من عقيدة النصارى الإيمان ببنوة المسيح، بينما يحتاج الرازي إلى بيان هذا لنا إلى أكثر من سطر أو سطرين،

---

[37] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص50.

[38] الرازي، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، ص117.

فيطول به الحديث، وهذا ما يسميه العلماء بإعجاز القرآن من الناحية البيانية، فيعجز الناس أن يعبروا كما عبر القرآن.

2- ليس على القرآن أن يفصل القول تفصيلا شاملا لما ذكر، لكن قد يضطر الرازي لذلك، فالقرآن يقول أن النصارى يدينون بالتثليث، ولا يشرح ذلك، بينما على الرازي أن يبين ما المقصود بالتثليث، ومن هذا القبيل لو أكد القرآن أن النصارى ليسوا على الديانة التي أنزلت على عيسى وإنما تم تحريفه، فليس على القرآن أن يبين مدى التحريف الذي أصاب الديانة، ولا كيف ولا متى. بل قد يلزم الرازي هذه البيانات.

لماذا يقول الباحث ليس على القرآن هذا، بينما يلزم الرازي ذلك؟ ذلك لأن القرآن مصدر وأم، يتحدث عن الأصل، أما الفرع فهو يختلف من وقت لآخر، فقد تعددت تفسيرات النصارى للتثليث فتثليث أي فرقة تريد من القرآن أن يعطيك؟ علما أن بعض الفرق منها انقرضت، هذا من جهة، على أنه من الاحتمال ظهور تفسيرات أخرى، ولو أراد القرآن بيان كل التفسيرات للزمه فعل ذلك في كل قضاياه، وليس فقط حين الحديث عن النصرانية، وهذا يجعل القرآن على عشرات الأضعاف مما هو عليه الآن، بينما يمكن للرازي شرح الأمر وبيانه حسب زمانه وحسب ما توصل إليه من علم، الشيء نفسه يقال في التحريف، فالقرآن قال أنهم حرفوا ولم يفصل تفصيلا شاملا، وذلك لأن التحريف يختلف من مكان لآخر ومن زمان لآخر، وهكذا.

المطلب الثاني: الوقوف على الإشكالات وبيانها:

ومن بين المناهج الواضحة التي سلكها الرازي في بيانه النصرانية في الخطاب القرآني، إيراد الإشكالات التي قد يوردها بعض الناس قصدا أو جهلا، أو قد يورد هو نفسه بعض الإشكالات من خياله الواسع، إن احتمل العقل ورودها؛ بغية بيان المسألة حق البيان وإعطاء كل قضية حقها. ولو رمت أمثلة على هذا، فإني أذكرك بطريقة الرازي حين تكلم عن معجزة كلام عيسى في المهد، إذ هو شيء ينكره النصارى، لعدم وروده عندهم، فقد أورده كإشكالية مع بيان دليلهم، ثم نقضها وأزال الإشكالية[39]. ومن الأمثلة أيضا، إيراده الإشكالية المتعلقة بأن مريم أخت هارون، فقد ذكر الإشكالية ورد عليها، وبين أن هارون هذا ليس هو هارون موسى، ليبين من هو ذاك الهارون، والكلام نفسه يقال في أن القرآن ذكر أن يحيى لم يكن له سمي، فبين الإشكال ليبين المقصود من النص القرآني، وكذلك تحدث عن الإشكالات الواردة في إلقاء شبه عيسى على من قتل وأنه ليس عيسى. فهذا يدل على أن من منهج الرازي في دراسة النصرانية إيراد الإشكالات ومن ثم بيانه وتوضيحه.

ومن الجدير بالذكر أنه قامت مناظرة الرازي مع النصراني على هذا المنهج أيضا في الكثير من مسائل المناظرة، فقد يرد على الإشكالات التي يطرحها مناظره، فمثلا استدل مناظره النصراني على أن عيسى إله وأنه أفضل من محمد لأنه خلق من غير أب يعلم، فأجاب الرازي بأن كونه أنه خلق من غير نطفة، فليس الاعتبار بالأجساد بل بالمعاني، فأصل الكل آدم، وآداب خلق من تراب، فالجسد لحق المعنى[40].

المطلب الثالث: المنهج الجدلي والنقدي

[39] مر معنا حين تحدثنا عن معجزة عيسى في القرآن، انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج8، ص 46-47.

[40] انظر: الرازي، **مناظرة في الرد على النصارى**، ص67.

ومن المناهج التي سلكها الفخر الرازي المنهج الجدلي والنقدي، ليرد على العقائد النصرانية ويبين بطلانها وعدم صحتها، ونجد هذا واضحا غاية الوضوح في كل سطر من سطور كتابه "**المناظرة في الرد على النصارى**" كما نجد هذا أيضا في مفاتيح الغيب، إذ غالبا يعقب ببيان رأيه من عقيدة القوم.

أضف إلى هذا أن الطريقة التي سلكها الرازي في المناظرة خاصة كانت قائمة على أساس نقض العقيدة النصرانية من بنيانها، لا لإثبات شيئا من فضائل الإسلام ومناقبه، هذا من جهة، ومن أخرى ارتكزت مناظراته على الدفاع ورد الشكوك والشبه التي يلقيها النصراني على الإسلام وتعاليمه، وعلى القرآن. ولنأخذ مثالا في كيفية رد الرازي على عقيدة ألوهية عيسى بالمنهج الجدلي والنقدي في مناظرته، يقول الرازي: "ثبت بالتواتر أن عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة في العبادة والطاعة لله تعالى ولو كان إلها لاستحال ذلك؛ لأن الإله لا يعبد نفسه"[41]. ويقول أيضا معقبا على عقيدة التثليث: "واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل؛ فإن الثلاثة لا تكون واحداً والواحد لا يكون ثلاثة ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فساداً وأظهر بطلاناً من مقالة النصارى"[42].

المطلب الرابع: المنهج الاستدلالي

حتى تقوم المناظرة والرد والنقد للآخر لا بد من وجود أدلة يستند إليها، ومتى ما عدمت الأدلة فمن العبث والعي الكلام على دين الآخر، وإن الرازي فطن لهذا بداهة، فتنوعت أساليبه الاستدلالية وهو ينتقد ويرد ويناظر في النصرانية، فمن بين الاستدلالات المستخدمة ما يلي:

---

[41] الرازي، **مناظرة في الرد على النصارى**، ص25.

[42] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص51.

أولا: الاستدلال بالنقل

ويقصد الباحث هنا الاستدلال بالقرآن، فالكثير من مسلمات الإمام حول النصرانية جاءت من تصديقه واستدلاله بالنصوص القرآنية، فالقرآن الكريم أطال الحديث والبيان في أكثر من موضع عن النصرانية وعن عقائدها، فتأثر الإمام الرازي بهذا كما تأثر به غيره من علماء المسلمين، إيمانا منهم بالقرآن كما أثبتت الأدلة. ونجد أن الرازي يستدل على عدم صحة الصلب بناء على الخبر والنص القرآني، فقد ذكر أن نص القرآن دل على أنه تعالى حين رفعه ألقى شبهه على غيره: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**﴾[النساء: 157]، والأخبار أيضاً واردة بذلك[43]. وقد ذكر الفخر الرازي فيما ذكر أنه تعالى لما أجاب عن شبهات اليهود تكلم بعد ذلك مع النصارى في هذه الآية والتقدير يا أهل الكتاب من النصارى لا تغلوا في دينكم أي لا تفرطوا في تعظيم المسيح وذلك لأنه تعالى حكى عن اليهود أنهم يبالغون في الطعن في المسيح وهؤلاء النصارى يبالغون في تعظيمه وكلا طرفي قصدهم ذميم فلهذا قال النصارى لا تغلوا في دينكم[44].

ثانيا: الاستدلال بالعقل أو المعقول

بما أن العقل هو مناط التكليف وأداة الإدراك، وهو الذي يميز بين الخير والشر، وهو الآلة التي يحصل بها العلم، والميزان الذي يميز صحيحه من سقيمه، وهو المعيار الذي

---

[43] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج11، ص80.

[44] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج11، ص92.

يعرف به الحسن والقبيح[45]، استند الفخر الرازي عليه في سبيل إدراك الحق من الباطل، وفي سبيل الحكم على رأي دين ما من الأديان، بل وفي سبيل اختيار واعتناق الدين.

وقد فند الإمام الرازي عقيدة ألوهية عيسى بناء على الأدلة العقلية فقد ذكر الرازي وهو يبين وجوه بطلان كون عيسى إلها، أن النصارى يعترفون بأن اليهود أخذوه وصلبوه، وتركوه حيا على الخشبة، وقد مزقوا ضلعه، وأنه كان يحتال في الهرب منهم وفي الاختفاء عنهم، وحين عاملوه بتلك المعاملة أظهر الجزع الشديد، فإن كان إلهاً أو كان الإله حالا فيه أو كان جزء من الإله حالا فيه فلم لم يدفعهم عن نفسه؟ ولم يهلكهم بالكلية؟ وأي حاجة به إلى إظهار الجزع منهم والاختفاء والفرار عنهم؟ **وبالله إنني لأتعجب جدا! إن العاقل كيف يليق به أن يقول هذا ويعتقد صحته وتكاد تكون بديهة العقل شاهدة بفساده؟**[46] ويقول أيضا معقبا على عقيدة التثليث: "واعلم أن هذا معلوم البطلان **ببديهة العقل**؛ فإن الثلاثة لا تكون واحداً والواحد لا يكون ثلاثة ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فساداً وأظهر بطلاناً من مقالة النصارى"[47]. إن دل هذا على شيء، فإنما يدل على أن الإمام الرازي اعتمد على الأدلة العقلية في دحض ونقض العقائد النصرانية.

ثالثا: الاستدلال بصحة نبوة محمد:

يستدل الرازي ببراهين نبوة محمد على صحة نبوته، وفي الوقت نفسه يستدل بها على بطلان دعوى النصارى، ولهذا النوع من الاستدلال أوجه كثيرة، يذكر الباحث منها استخدام الرازي لدلائل نبوة محمد في قضية النسخ، فقد قال: "واحتج الجمهور من

---

[45] الحجاجي، حسن بن علي، **الفكر التربوي عند ابن القيم** (جدة: دار حافظ، ط1، 1408هـ/1988م)، ص256.

[46] الرازي، **مناظرة في الرد على النصارى**، ص23.

[47] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج12، ص51.

المسلمين على جواز النسخ ووقوعه لأن الدلائل دلت على نبوة محمد ﷺ ونبوته لا تصح إلا مع القول بنسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ"[48]. ونجد هذا واضحا في الخطاب القرآني، إذ يبين في الكثير من المواضع أن محمدا نبي من أنبياء الله، تثبت صحة دعواه في النبوة بالمعجزات، كما ثبتت بذلك صحة دعوة عيسى وموسى وغيرهما من الأنبياء.

رابعا: الاستدلال من الإنجيل:

وللإمام الرازي اقتباسات حسنة من التوراة والإنجيل، **وإليك أمثلة على استدلال الرازي من العهدين** بما يدل على بشارتهما بمحمد ﷺ، من الجدير الوقوف عليه مع طوله، فإنه يدل على معرفة الرجل بالديانة النصرانية، وأنه بارع فيه، وقد ذكر سبعة نصوص دالة على البشارة بمحمد، يتبع كل نص بالاستشهاد، والرد على من يقول العكس، يقول الرازي: "ولنذكر الآن بعض ما جاء في كتب الأنبياء المتقدمين من البشارة بمقدم محمد ﷺ **فالأول** جاء في الفصل التاسع من السفر الأول من التوراة أن هاجر لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك (من قبل) الله فقال لها يا هاجر أين تريدين ومن أين أقبلت قالت أهرب من سيدتي سارة فقال لها ارجعي إلى سيدتك واخفضي لها فإن الله سيكثر زرعك وذريتك وستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه إسماعيل من أجل أن الله سمع تبتلك وخشوعك وهو يكون عين الناس وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع وهو يشكر على رغم جميع إخوته.

والثاني: جاء في الفصل الحادي عشر من السفر الخامس (إن الرب إلهكم يقيم لكم نبياً مثلي من بينكم ومن إخوانكم) وفي هذا الفصل أن الرب تعالى قال لموسى (إني مقيم لهم نبياً مثلك من بين إخوانهم وأيما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها عني ذلك الرجل باسمي

[48] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج3، ص206.

أنا أنتقم منه) وهذا الكلام يدل على أن النبي الذي يقيمه الله تعالى ليس من بني إسرائيل.

والثالث: قال المسيح للحواريين (أنا أذهب وسيأتيكم الفار قليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه إنما يقول كما يقال له) وتصديق ذلك: ﴿**إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ**﴾[الأنعام: 50]. وقوله: ﴿**قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِيۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ**﴾[يونس: 15]. أما (الفار قليط) ففي تفسيره وجهان أحدهما أنه الشافع المشفع وهذا أيضاً صفته عليه الصلاة والسلام الثاني قال بعض النصارى الفار قليط هو الذي يفرق بين الحق والباطل وكان في الأصل فاروق كما يقال راووق للذي يروق به وأما (ليط) فهو التحقيق في الأمر كما يقال شيب أشيب ذو شيب وهذا أيضاً صفة شرعنا لأنه هو الذي يفرق بين الحق والباطل"[49].

المطلب الخامس: السعي وراء الحق

من ضمن ما يراه الباحث كواحد من منهج الرازي في دراسة النصرانية السعي وراء الحق، يعني يبحث عن الحق أي وجد، فلو كان قد ثبت بالأدلة النقلية أو العقلية أن ما عليه النصارى هو الحق من عند الله لكان جاهزا لاعتناقه، لكن لم يظهر له هذا.

أجل، إن هذا يجعل للبحث ودراسة الأديان معنى، إذ لا معنى كبير من أن يقوم الرازي بذكر ووصف النصرانية كظاهرة من بين الظواهر هكذا، دون أن يكون هناك دافع حقيقي مقدر لدى العقلاء من الناس. وإلا فقل لي بالله عليك! لماذا يقوم الرازي في وسط جماعة مسلمة ليخاطبهم بأن النصرانية هي كذا وكذا، ويؤمن أتباعه بكذا وكذا؟ فكأنه يريد القول آمنوا بالنصرانية واتركوا الإسلام، وهذا بعيد غير وارد! أو يقول الأديان

[49] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج3، ص34-37.

في الدنيا كثيرة، من بينها النصرانية، وكل هذه الأديان حق يهدي إلى الخير في الدنيا والآخرة! وهذا مرفوض كذلك. أو يقول تعددت الأديان ونحن لا بد من معرفة الدين الوحيد الصحيح من بين مجموع هذه الأديان لنعتنقه، ولعل هذا هو الصواب، فحري بالباحث إذن أن يقول إن من منهج الرازي في دراسة النصرانية السعي وراء الحق.

ولا دليل لأحد أورده هنا أفضل من طلب الرازي نفسه من النصراني الذي ناظره بالإسلام بعد أن أفحمه وأقام الحجة عليه، انظر إلى هذا المقطع من نص المناظرة: " فانقطع النصراني وقال: غلبتني وأفحمتني، فقال له: إذا اعترفت بذلك تعين عليك الرجوع إلى ديني: دين الإسلام، والاعتراف بأنه خير الأديان."[50] إلا أن النصراني أبى بادئ الأمر مستدلا بأن من علماء دينه من يزيد على الرازي في العلم والحكمة والعقل والمعرفة، إذا ناظر الرازي لم يغلبه الرازي. إلا أن الرازي بين أن من أجل هذا لا يعتنق كثير من العلماء الإسلام، علما أن هذا من المستحيلات، إذ هو من قبيل الدور المستحيل.

قد يقول قائل: قلت أن من منهج الرازي السعي وراء الحقيقة، وهو يرى أن الإسلام هو الحق، فكأنه يريد دعوة الناس إلى دينه، علما أن أتباع كل دين يرى أنه هو الحق، أقول: لا نذهب بعيدا من الموضوع، فإن مناظر الرازي أورد ما يقرب من هذا، فقد ذكر أنه ما من إلا وتقطع بأنها هي المحقة وغيرها المبطلة، فبأي شيء يتميز ذلك إن كان الجميع مشتركين في الاستدلال بالأدلة القطعية[51]؟

وكان جواب الرازي أن الله أرسل الرسل ليكونوا حكما بين الناس، وهم يدعون أنهم مرسلون من عند الله، وإنما العقل هو الذي يحكم ليعرف ما إذا كان المدعي فعلا رسول، أو هو كاذب مفتري، فإذا ثبت نبوته تبيّن أنه ليس شيطان رجيم، ولا ساحر ولا شاعر

---

[50] الرازي، **مناظرة في الرد على النصارى**، ص50.

[51] المصدر نفسه، ص63.

ولا كاهن[52]. فمن منهج الرازي في دراسة النصرانية السعي وراء الحق، والذي يعرف بالعقل الصحيح.

المطلب السادس: الموضوعية:

بين الباحث في المبحث السابق معنى الموضوعية وأهميتها في علم مقارنة الأديان وأهم ما يدور حولها من مسائل، وقد رأينا كيف أن القرآن كان موضوعيا في الحديث عن النصرانية في بيان ما هم عليه، وعدم الافتراء عليه، وعلى هذا المنوال في الموضوعية سار الإمام الرازي، بحكم أمر الإسلام له بقول الحق والقسط، فلا بد أن يدرك ويفهم ما عند النصارى ومن ثم إذا أراد النقد يتبع المنهج العلمي في ذلك تتمة للفائدة.

ولقد رأينا كيف أن الإمام يشرح القضايا النصرانية كما عندهم أولا، وكأن راهبا نصرانيا يخاطبك للتنصير، فقد رأينا كيف بين وشرح عقائدهم، بل يضيف بإيراد أدلتهم، ولأذكرك بكلمه هذا على سبيل المثال:"فتارة يقولون عيسى هو الله وتارة يقولون هو ابن الله وتارة يقولون ثالث ثلاثة، ويحتجون لقولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويبرئ الأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير، ويحتجون في قولهم إنه ولد الله بأنه لم يكن له أب يعلم، ويحتجون على ثالث ثلاثة بقول الله تعالى فعلنا وجعلنا، ولو كان واحداً لقال فعلت"[53]. وإليك مثال آخر: "اعلم أنه تعالى لما استقصى الكلام مع اليهود شرع هاهنا في الكلام مع النصارى، فحكى عن فريق منهم أنهم قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وهذا هو قول اليعقوبية لأنهم يقولون إن

---

[52] المصدر السابق، ص76.

[53] الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج7، ص134.

مريم ولدت إلهاً، ولعلّ معنى هذا المذهب أنهم يقولون إن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذات عيسى"[54]. وغيرهما كثر.

ولعل موضوعية الإمام التي صارت آية من آيات منهجه، ما يجعل البعض يطعنون في مصنفاته، إذ يؤاخذونه على أنه لما يسرد قول المخالف يبينه أحسن بيان، ثم يقصِّر في بيان رأي أهل السنة، يقول ابن حجر في ذلك: "كان يعاب بإيراد الشبه الشديدة ويقصر في حلها حتى قال بعض المغاربة يورد الشبه نقدا ويحلها نسيئة"[55]. وذكر ابن حجر أن من مآخذ العلماء عليه أنه **يورد شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهاء**[56]. غير أني أفسِّر منهجه هذا بالموضوعية، فهو يذكر ما عند الخصم كما هو وبأدق عبارة وأحسن تفسير من الخصم نفسه، لكن لا يدين به، فهذا عين الموضوعية وعدم الخضوع للذاتية، وهو عنصر مهم في البحث العلمي خاصة دراسة الملل والنحل، وقد فطن إلى ذلك الرازي. على أن ما قيل في اكتفائه بالقليل من إيراد أقوال أهل السنة، أمر نسبي فهو – على فرض صحة الكلام- مع اكتفائه بالقليل إلا أن في ذاك القليل الكفاية في دحض ما أورد من رأي وأدلة الخصم. أضف إلى ذلك أن الانشغال بعلم الكلام لا ينبغي أن يخوض فيه الطالب المبتدئ، فقط يدرسه من قويت شوكته في الشرعيات: القرآن والسنة وما يعين على فهمهما من علم اللغة وعلوم القرآن وعلوم السنة، ومعلوم أن من قوي في هذه العلوم لا يضره بعد إيراد الشبه دون رد، فرده معروفٌ لديه حاصلٌ.

---

[54] المصدر نفسه، ج12، ص50.

[55] ابن حجر، **لسان الميزان**، ج4، ص427.

[56] المصدر نفسه، الصفحة نفسها والتي تليها.

فمن المنهج الذي سار عليه الرازي في دراسته للنصرانية الموضوعية؛ متبعا ضوابط النقد الصحيح؛ إذ النقد الصحيح له ضوابطه، يمكن إيجازها في التالي كما يرى الباحث بناء على ما قد سبق:

أ- فهم ما لدى الآخر، من باب أن الحكم على شيء فرع من تصوره.

ب- النقد يقوم على دليل. كادعاء عدم صحة ما يقول الطرف الآخر بدليل مخالفة العقل أو عدم صحة ما يعتمد عليه.

ت- البعد عن الهوى والرغبات.

ث- أن تكون الغاية هي بيان الكشف عن الحقيقة.

ولعل كل هذه الأمور توفرت عند الرازي، فهو تكلم عن النصرانية كما يرونها هم، ومن ثم تم الاعتراض بناء على الأدلة العقلية، ولم يتبع هواه في ذلك، كما أن عمله هذا كان سعيا لإخراج الحقيقة.

خاتمة

الحمد لله أولا وآخرا، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد، فالاهتمام بعلم الدراسات القرآنية مهمة في حقول الدراسات الإسلامية، وإن الاهتمام بعلم مقارنة الأديان من المنظور القرآني لمن أفضل الوسائل التي تفيد في الجمع بين التراث وإثراء البحث العلمي المعاصر.

يعد القرآن الكريم مصدرا في تاريخ الأديان، وإن حمل أحكاما على المخالف، وما ذاك إلا أنه كتاب هداية وإرشاد، يراعى هذا في جانبه، ويمكن الاستفادة منه في هذا الجانب وفي جوانب أخرى من حيث المصداقية والموضوعية وقبول الآخر.

تبين في هذا البحث أنه ترتب على السمات العامة لحديث القرآن عن النصرانية آثار عديدة، منها تأثر العلماء بمعالم المنهج القرآني، وقناعة المسلمين بضرورة مصاحبة دراسة الأديان لحكم الصحة والبطلان، لأن الغرض من دراسة الأديان في الفكر الإسلامي نتيجة التأثر بالقرآن الكريم هو السعي وراء الحقيقة، وليس مجرد الوصف الظاهراتي ودعم التعددية الدينية وحوار الأديان وبث السلام كما يسعى إليه مؤخرا.

وإن من أهم نتائج البحث ما يأتي:

1- من سمات المنهج القرآني في الحديث عن النصرانية ما يلي: **أولا: المنهج التاريخي والوصفي، ثانيا: المنهج الجدلي والنقدي، ثالثا: المنهج الاستدلالي، رابعا: الأسلوب القصصي وضرب الأمثلة، خامسا: الموضوعية** بمعنى تتبع الحق وعدم التقوّل على الآخر ما لم يقل، وكانت لهذه السمات آثارها على علماء الأديان عموما الرازي خاصة في دراسة النصرانية.

2- المحور الثاني: ترتب على ما مضى تأثر الإمام الرازي بهذه السمات العامة، فكان من أهم معالم منهجه في الحديث عن النصرانية ما يلي: **أولا: المنهج التاريخي والوصفي، ثانيا: الوقوف على الإشكالات وبيانها، ثالثا: المنهج الجدلي والنقدي، رابعا: المنهج الاستدلالي، خامسا: السعي وراء الحق، سادسا: الموضوعية، مع ضرورة إصدار حكم الصحة والبطلان، وأن ذلك ليس منافيا للموضوعية.**

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.